

## عامان في الحبشة

أُتاحت لي الظروف أن أقضى مدة في الحبشة ، تلك البلاد التي طالما شغلني تاريخها وأدبها ولغاتها ، فأمكنني أن ألمس الحياة هناك عن قرب ، وأجد الجواب الشافي لما كان يدور في ذهني من أسئلة لم أكن لأستطيع أن أجيب عليها بسهولة .

### ملاحظات جغرافية

أبحرت من السويس في شهر مارس وهو من الشهور المعتدلة الحرارة ، فوصلت إلى جيبوتي عاصمة الصومال الفرنسي ومينائه ، بعد أن رفع عنها نطاق الحصار البحري البريطاني . حرارة معرطوبة ليلَ نهار لا يدركها خيال المصري . والماء بها ساخن يميل إلى الملوحة ، بها لونان من ألوان الطعام ، أرز بالكركبة وممك بالبسبسة ، وشعب خليط بين الصومال والعرب والهنود . ومع أن جيبوتي فرنسية شكلاً فإنها يونانية الصبغة ، يتكلم أهلها العربية وأنت محتاج إلى شيء كثير من المعرفة بمقارنة اللغات حتى تستطيع فهمها . وجيبوتي في جملتها تعطيك فكرة عن جهنم . سار بنا القطار من جيبوتي إلى أديس أبابا مسافة ٧٩٩ كيلومتر في مفازة جرداء خاوية إلا من بعض محطات السكة الحديدية أطلق عليها هذا الاسم تجاوزاً . ويميش في هذه الصحراء قبائل من الدناكل طارية النصف الأعلى من أجسادها ، لا ترى الرجل منهم إلا ممسكاً رمحاً مستنداً عليه رافعاً كعب قدمه اليسرى إلى أعلى نخذه الأيمن وقد يمضي الساعات على هذه الصورة دون تبديل .

وصل القطار إلى مدينة ديرداوة وهي أول مدينة حبشية كبيرة ، ترتفع عن سطح البحر ١٢٠٠ متر ، جوها معتدل نوعاً ، تتراوح حرارتها بين ١٨ و ٣١ درجة مئوية . يصلها بمدينة هرر طريق معبد للسيارات يجتازه المسافر صعوداً إلى ارتفاع ١٩٠٠ متر فوق سطح البحر في ساعتين . والطريق غني بمناظره الطبيعية

الجميلة ، ومدينة هرر غنية بفواكهها وخضراواتها إلا أن صعوبة المواصلات بينها وبين أجزاء الإمبراطورية الأخرى فوتت استغلال هذه المميزات . وجوها معتدل جاف طول السنة ، يبلغ متوسط حرارته ٢٠ درجة مئوية . ثم يسير بك القطار من ديرداوة صاعداً الهضبة الحبشية صوب أديس أبابا في طريق صخري متنوع المناظر الخلابة .

تقع أديس أبابا على ارتفاع ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، جوها بارد كجو الحريف عندنا معدل حرارته بين ١٥ — ١٧ درجة مئوية . ولا يستطيع الإنسان مع هذا الارتفاع أن يبذل مجهوداً جسمانياً كبيراً . ويسقط مطرها في مواسم : الموسم الصغير من مارس إلى مايو ومتوسط عدد الأيام الممطرة في بحر الثلاثة الأشهر ٢٩ يوماً ومتوسط ما يسقط من المطر في الشهر ١٠٠ مليمتراً . أما الموسم الكبير فن يونه إلى سبتمبر وعدد الأيام الممطرة فيه ٩٢ يوماً ومتوسط ما يسقط من المطر في الشهر ٢٢٠ مليمتراً . ولكن هذه الأرقام لا تعطي صورة صادقة عن حالة المطر ، ولا يجدي الوصف لإعطاء المصري صورة عن مطر الحبشة ، ولعل أسهل الصور إلى ذهنه أن يتصور ماء النيل مفتوحاً فوق رأسه بضع ساعات يومياً .

وبمجرد انتهاء موسم الأمطار تكسو البلاد طبقة من الزهور المتنوعة الجميلة وخضرة براقية ، كما تكثر الطيور التي تسترعي الأنظار بتباين ألوانها وتناسقها . وقد تسير في طريق مدينة چمّة فتصحبك رائحة الياسمين البري الذي يتفرع على جوانب الطريق ، وقد تسير في طريق أديس أبابا — اسمرا وهو طريق يبلغ ١١٠٠ كيلومتر فتبهرك مناظره الطبيعية الخلابة من جباله وأوديته . وقد أطلق أهل أوربا على الحبشة بحق « سويسرا إفريقيا » . وتمتاز الحبشة بوجود مياه معدنية بين ربوعها ، نذكر منها في أديس أبابا « الفول وها » وهو نبع حار مجهز بالحمامات ، تخرج مياهه من منفذين أحدهما حرارته ٢٦ درجة مئوية والآخر ٥٧ درجة مئوية . ثم نبع « أرار جوتا » في الطريق بين ديرداوة وأديس أبابا ، وهو نبع تبلغ حرارته ٤٠ درجة مئوية . ولعل أشهر ينابيعها ما وجد في بلدة أمبو وهي تبعد عن أديس أبابا حوالي ١٣٠ كيلومتراً ، منطقتها بديعة للناظر . وهي خط تقسيم مياه ثلاثة أنهر : النيل الأزرق وأواش وأممو . وحرارة نبعها ٣٠ درجة مئوية . وبها استعداد للحمامات ، على أنها لاتزال تفتقر إلى كثير من العناية .

## المواصلات

ترتبط مصر بالحبشة وسائل ثلاث : الطائرة وهي أسبوعية ، فالسكة الحديدية تسير مرتين في الأسبوع من القاهرة إلى أسمرأ مرة بكسلا مع مواصلة من كسلا إلى أجوردات ثم تستمر بالسكة الحديدية إلى أسمرأ ، وتستغرق المسافة بين القاهرة وأسمرأ ، سبعة أيام ومن أسمرأ تقطع سيارات الإثيوبوس الطريق إلى أديس أبابا مرتين في الشهر ، وتحتاج لقطع المسافة وهي ١١٠٠ كيلومتر إلى ثلاثة أيام .

أما الطريق الثالث فهو طريق البحر . وتبحر بواخر الشركة الحديدية الآن من السويس إلى جيبوتي مرتين في الشهر ، ويستغرق الطريق في البواخر العادية من أربعة إلى خمسة أيام إلا أن البواخر الحديدية تقطعه في مدة تتراوح بين ١٢ و ١٠ يوماً ؛ لأن بواخرها تقف على جميع موانئ البحر الأحمر تقريباً . ثم يسير القطار من جيبوتي إلى أديس أبابا ثلاث مرات في الأسبوع والمسافة ٧٩٩ كيلومترا يقطعها القطار المباشر في ٣٦ ساعة . أما قطار المواصلة فيضطررك للمبيت ليلة في ديرداوه .

والملاحظ أن هذه الطرق الثلاث لا تكفي لربط الحبشة بالخارج من الوجهة التجارية . لذلك تسعى الحكومة الأثيوبية أن تتلافى هذه الصعوبات بتوجيه اهتمامها لدى الدول المختصة بوسائل مختلفة ، منها :

١ - التفاهم مع حكومة الصومال الفرنسي لإمكان تعزيز الخط الحديدي وخفض أجور النقل . وقد التفتت الحكومة إلى هذه النقطة في المعاهدة البريطانية الأثيوبية سنة ١٩٤٤ ، وكذلك نسمع هذه الأيام من الصحف عن اتصالات الفرنسيين والأثيوبيين في هذا الصدد .

٢ - استيراد سيارات الشحن الكبيرة لتيسير النقل بين أديس أبابا وأسمرأ ومنها إلى ميناء مصوع . ويحتاج هذا إلى التفاهم مع الإدارة البريطانية القائمة بأرتريا ؛ إذ أن ما أحضره الطليان أصبح لا يفي بالغرض المطلوب لسوء حالة السيارات بعد مضي مدة طويلة ، هذا فضلا من ارتفاع أجور النقل .

٣ - تحسين الطرق القديم الذي يربط الحبشة بأعلى السودان ومنها إلى

مصر . والطريق صالح في جميع أوقات السنة ما عدا موسم الأمطار الكبير ، وهو الطريق البرى إلى جمبلا ، وهي مدينة تقع على حدود السودان وتبعد عن أديس أبابا حوالي ٧٠٠ كيلومتر ثم تتغير وسيلة النقل عند جمبلا من الطريق البرى إلى النهري على السوايط فالنيل الأبيض حتى الخرطوم . وتحتاج الرحلة إلى ثلاثة أسابيع على الأقل . وهذا الطريق يمر وسط الأقاليم الغنية بالحبشة مثل الأروس وكافا وولجا ، وهي الأقاليم التي تنتج الحبوب والبن والأخشاب . ومن الممكن أن تزداد تجارة هذه الأقاليم مع السودان ومصر إذا أمكن أن ترسل البضائع منها إلى الخارج رأساً أى بدون أن تمر بأديس أبابا . أما طول الطريق وما يحتاج إليه من وقت فقد لا يضر في هذه الحالة إذ أن تلك الأنواع من البضائع لا يتلفها طول الوقت . وأظن أن الاهتمام بتحسين هذا الطريق واتفاق حكومة أثيوبيا مع حكومة السودان يجرى في سبيل يبعث على الارتياح .

وتفكر الحكومة الأثيوبية أيضاً في مد خط حديدى يصل أديس أبابا بالسودان ، وقد يساعد هذا أيضاً — إذا تم — على تبادل التجارة .

ونلاحظ أن الطليان في وقت الاحتلال قد بذلوا جهداً ومالاً لتحسين طرق المواصلات ؛ لأن المعروف أن وحدة الحبشة السياسية واستغلال مواردها وارتياح مناطقها لا يتم إلا بإنشاء شبكة من الطرق . ولكن صيانة هذه الطرق وإصلاحها يستنفدان مالاً كثيراً ، أظن أن ميزانية الدولة الأثيوبية لا تحتملها إلا بمقدار .

## الجنس

تمتاز الحبشة بتعدد الأجناس فيها ، حتى إن العلماء يطلقون عليها « متحف الشعوب » . وفي رأى أن تاريخ الحبشة في عصوره المختلفة لا يمكن أن يفهم على حقيقته إلا إذا أخذنا اعتباراً لمشكلة الجنس . وأهم العناصر التي تتكون منها أجناس الحبشة ثلاثة : عنصر سامى ، وعنصر كوشى ، وعنصر أفريقى . أما العنصر السامى فقد دخل البلاد من الشرق وأتى من جزيرة العرب . ويظهر أنه استمر في دخول الحبشة عن طريقين طريق الأرتريا وطريق الصومال . وقد نفهم كيفية دخوله على مر السنين من ملاحظة ما هو حادث الآن في الحبشة . فأهالى اليمن

وحضرموت مناشرون في جميع البلاد الصغيرة والكبيرة يحترفون التجارة الكبيرة منها والصغيرة ، وهم يهاجرون بالتدرج إلى الحبشة . هذه ظاهرة أظنها لا تختلف عما كان يحدث بل هي استمرار للقديم . ويمكننا أن نتصور كيف كون هؤلاء الساميون لأنفسهم قديماً قوة فسلطاناً فلماً . وهذا يعلل لنا الصلة القوية الطبيعية المستمرة بين شبه الجزيرة العربية وسواحل الحبشة على البحر الأحمر قبل ظهور الإسلام وبعده . ومما هو جدير بالذكر ما نعلمه عن وصول مهاجرين يبلغ عددهم ٨٠٠ نسمة حوالي عام ١٨٦٩ من قبيلة الرشايدة من أهالي منطقة جدة واستقرارهم على الشاطئ الشمالي في أرتريا . وأهم العناصر السامية الآن : الأمهرا والشعوب التي تتكلم التجري والتجريفيا والهريية ثم العرب . أما العناصر الكوشية ( الحامية ) فقد دخلت الحبشة من الشمال والشمال الغربي ، أهمها الجالا والصومال ، وكانت مصدر حروب دائمة مع العنصر السامي . أما العناصر الأفريقية فأتت من الجنوب والجنوب الغربي ، وأظهرها الشنقلا والولجا ، وهي العناصر التي يعتبرها الحبشي من العبيد . ونلاحظ أن اسم قبيلة شنقلا أصبح يطلق اصطلاحاً بمعنى العبد .

وعلى الرغم من اختلاط بعض العناصر الأخرى بالجنس الأصلي فإن التمييز بين العناصر المختلفة من حيث الشكل سهل ميسور .

كان السلطان منذ فجر التاريخ الحبشي في القرن الثالث الميلادي إلى احتلال إيطاليا في يد العنصر السامي . وقد جاهد الجنس السامي الحاكم في كل العصور التاريخية حتى حافظ على هذا السلطان . ولاحظ الطليان هذه الظاهرة عند دخولهم الحبشة فأرادوا أن يغيروا الوضع عندما حاولوا الحط من قيمة العنصر الأمهري وهو العنصر الحاكم بل القضاء عليه ورفعوا من شأن الجالا والصومال والعرب الداخلين وغيرهم وقربوهم إليهم . فنشأ من تغيير الوضع القديم بمثل هذه السرعة مشكلة تواجهها الحكومة الأثيوبية الآن إلا أنها تعالجها بحكمة ؛ فقد أبقت الوضع الجديد الذي خلقه الطليان وبدأت تدخل بالتدرج العنصر الأمهري الذي استبعده الطليان ، وأمكنها بذلك أن توازن بين الأجناس المختلفة . وهذه أول مرة في تاريخ الحبشة يسوى فيها بين جميع الأجناس ، وهذا بدوره سيقتضى على كل الثورات الداخلية في المستقبل ويقوى وحدة أثيوبيا القومية والسياسية .

## اللغة

يتبع تعدد الأجناس تعدد اللغات في الحبشة ، بل أكثر من هذا فإن الجنس الواحد قد تنفرع لفته إلى لهجات ، وهذه بدورها تتباعد عن الأصل مع مرور الزمن وتغير البيئة حتى تصبح لغة . والحبشة غنية بظواهرها اللغوية فإن وضعها الجغرافي وسط حضارات مختلفة من سامية وكوشية ونييلية وغيرها جعل منها بيئة صالحة للتطورات اللغوية .

وهناك ثلاث مجموعات من اللغات السامية والكوشية والنييلية . أما اللغات السامية فهي أكثرها انتشاراً بين العناصر السامية وغيرها ، وقد عدت ثمانى لغات مختلفة أهمها الجعز ( أو كما ينطقونها الآن الجيز إذ أن نطق العين والحاء سقط تحت تأثير اختلاط الساميين بغيرهم ) . وهذه اللغة أقدمها تاريخاً وهي لغة الكنيسة إلى الآن ، وكانت إلى عصر قريب لغة الأدب الذي لم يصلنا منه إلا الأدب الكنسى ومعظمه إن لم يكن كله مترجم عن الأدب القبطى العربى ، وهي في تراكيها ومعانى كلماتها أقرب ما تكون إلى اللغة العربية . أما اللغة الأهرية فهي لغة الدولة منذ القرن الثالث عشر الميلادى إلى الآن ، ولعتبرها أختاً للجعز وليست مشتقة منها ، وهي متأثرة في صيغتها باللغات غير السامية التي عاشت بينها قروناً طويلة قبل أن تصير لغة الدولة .

واللغة العربية منتشرة على الشواطىء وفي الداخل خصوصاً في المراكز التجارية . أما اللغة الهررية فهي لغة سامية أيضاً تكتب بحروف عربية .

وأما اللغات الكوشية فقد عدت منها تسع عشرة ، أهمها لغات الجالا والصومال . ولغة الجالا موسيقية رقيقة على السمع فيها أدب شعبي كبير لم يدون وقد بدأ المستشرقون في جمعه ونشره بالحروف اللاتينية .

أما اللغات النيلية فلم تتمكن من إحصائها كلها إحصاء دقيقاً ، وقد عرفنا منها إلى الآن أربع عشرة لغة ، أهمها الكونا ما والباريا . وتعد الآن اللغة الأهرية أهم هذه اللغات شأناً إذ أنها اللغة الرسمية للدولة . وقد اهتمت الحكومة الأثيوبية أخيراً بأن تعمم استعمالها في جميع مناطق الحبشة . فإن توحيد لغة الكتابة أول

مظهر من مظاهر القومية . وليس معنى هذا أن يقضى على اللغات الأخرى بل على العكس قد اهتم جلالة الإمبراطور مثلاً بتعليم اللغة العربية في المناطق المختلفة وخاصة تلك التي يكثر فيها المسلمون . ولكن جلالته أشار بأن يوجه التعليم في اللغات توجيهاً قومياً . وقد عهد إلى بوضع كتب في المطالعة العربية وقواعدها يراعى فيه هذا الاتجاه القومي ، كما عهد إلى أحد الأساتذة من الأمريكيين في وضع كتاب للمطالعة الإنجليزية يراعى فيه الاتجاه نفسه . وهناك مدرسون للغة العربية في المدارس الحكومية في هرر وديريداوة وچچچجه وأديس أبابا وديسي وجمه .

ومع أن اللغة الأماهرية كانت لغة التخاطب منذ قرون فإنها لم تصل إلى مستوى اللغات الأدبية إلا قريباً ، فإن أقدم ما وصلنا منها مكتوباً يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي ولعل ضعفها يرجع إلى وجود لغة الكنيسة ( الجعز ) إلى جانبها . ولما اشتد الجدل بين رجال الدين من الأحباش وبين الإرساليات التبشيرية الأجنبية منذ القرن السادس عشر وشرع رجال الإرساليات من الكاثوليك في تدوين آرائهم بالأماهرية لم يجد رجال الدين الحبشى بدءاً من الرد عليهم بالأماهرية ، ومن ثم ترجم الكتاب المقدس بالتدرج إلى الأماهرية ، وهكذا رفعت اللغة الأماهرية إلى مصاف اللغات الأدبية .

ويواجه الأحباش مشاكلاً لغوية كثيرة حتى يجعلوا هذه اللغة تسير الحضارة . وقد أمكنني أن أساعد أثناء إقامتي هناك على وضع المصطلحات العلمية في الحساب والهندسة العملية والجغرافيا . ولكن الصعوبة التي وجدتها ويجدها أهل الفنون المختلفة من الأحباش هي رفضهم إدخال المصطلحات الأجنبية بلفظها ، فإذا أخذنا في ترجمة المصطلحات إلى اللغة الأماهرية — كما فعلت — وجدها الناس لا تتفق مع ما اعتادوا عليه من معاني الألفاظ الأصلية فاستغروها . وهكذا تحتاج المصطلحات العلمية إلى وقت طويل حتى يستيعمها الناس كما هو الحال عندنا . واللغة سائرة في دور التطور ، إلا أن الأحباش يبالغون الآن في التمسك بها والتعصب لها . وربما كان لهم بعض المذر في هذا التصرف ؛ فقد خرجوا من الاحتلال الإيطالي الذي حاول القضاء على لغتهم بمنع تدريسها في المدارس وإحلال اللغة الإيطالية محلها ، فاما استردوا بلادهم وجدوا أن الطليان قطعوا ما بينهم وبين ما كانوا قد شرعوا فيه من احياء اللغة .

كانت اللغة الامهرية غير منتشرة انتشاراً بعيداً في أنحاء الحبشة ، إلا أن الاحتلال الإيطالي أظهر للأحباش جلياً قيمة اللغة الواحدة في إنشاء الوحدة ؛ إذ أن المسافر الآن يمكنه أن يتفاهم باللغة الإيطالية في جميع أنحاء الحبشة بعد خمس سنوات من الاحتلال ، وقد سمعت رجلين من الجالا والامهرا يتفاهمان فيما بينهما بالإيطالية .

### الادب الشعبي

والشعب الحبشي لديه إحساس أدبي رفيع يظهر في الأدب الشعبي من شعر قصصي وحكم وأمثال وهم مغرمون بالتلاعب بالألفاظ والجناس والكنائيات والمعاني المجازية وما إلى ذلك ، إلا أن أثر الأدب الكنسي جعلهم يشعرون بأن تدوين هذه الآداب الشعبية يتنافى مع الوفاق ؛ فلذلك لا يعطينا الأدب الأمهري المكتوب صورة صحيحة عن الشعب الحبشي . وسأحاول أن أعرض بعض أنواع الأدب الأمهري المتداول بين الشعب .

ولعل الشعر هو أظهر أنواع هذا الأدب ، وقلما تجد إنساناً هناك لا يزن الشعر ويغنيه على القيثارة ، وهم يلتزمون القافية في الشعر ، فتجد عندهم الشعر الذي يتغنى به الأبطال وأظنه معروفاً من زمان قديم بسبب الحروب الدائمة التي مرت على الحبشة ، ومثاله :

« افسحوا الطريق

لباشا أباي الشجاع

فهو يعرف كيف يصلح الحال بفرسه الأبيض

يعرف من يقتل ومن يرحم

خضب أيدي وأرجل الفرسان »

وكذلك ينتشر بينهم شعر التهريج الذي ينشدونه في المناسبات المختلفة مثل رأس السنة وأول الصيام والأعياد المختلفة . ولكل مناسبة من هذه المناسبات نغمة معروفة ينشدون بها الأشعار المختلفة ، بل قد تجد نغمة

للأطفال ونعمة للبنات ونعمة للشبان . ووزن هذا الشعر قصير ذو أربعة أو خمسة مقاطع ، ومنه :

« أمضيت نهاري أناجى الزهور  
وعند المساء طبخت الفول  
أعطيت زوجي لياأكل  
فضربني بالمفرقة على ضلوعي »

ثم هناك نوع آخر من الشعر وهو الشعر الإمبراطوري يقال في المناسبات المختلفة في يوم التتويج أو الميلاد أو غيره . وهو شعر وزنه في الغالب رزين ستة مقاطع ، يتحاشى فيه الشاعر المعاني المجازية حتى لا يحمل على غير محمله . وإليك بعض أبيات مقتبسة من قصيدة في عيد ميلاد الإمبراطور :

« إن لم تولد يا مخلصنا  
لم نجد بلادنا الفردوسية  
نور أن نفنى لك أناشيد جميلة  
أحلى من العسل والسكر  
قد أضاعت أثيوبيا بنور ساطع  
واختفى الليل وصار نهاراً . »

وكذلك يتبارى الشعراء في تقوية القومية عند النشء بوضع أناشيد قومية عن أثيوبيا ، مثال ذلك :

« أثيوبيا التي تنتج لإرضاء أطفالها  
تنتب الزرع بدون أن تبذر — لا تتعب كثيراً  
تحمي القمح وتقلم الحماش  
رأينا كيف تطعمنا بعد أن أنضجتنا الشمس  
وطننا يمثل بالحصاد  
ومملكتنا بالمطر . »

وهم يمشون النشء على تعلم اللغة الامهرية قبل كل شيء ، من ذلك قولهم :

« لساننا كالمعلقة الصغيرة  
لا يقوى أن يحمل مع لغتنا لغة أخرى  
إذا عرفت جيداً الجيز والامهرية  
يمكنك بعد ذلك أن تسرق اللغات الأجنبية . »

ولكن الشعر المفضل عندهم هو الشعر الذي يجعل معنى مجازيا ، ويزداد شغفهم به كلما شعروا بضغط سياسي داخلي أو خارجي أو إذا أرادوا ان يوجهوا النقد الاجتماعي أو السياسي . وقد انتشر هذا أيام الطليان حتى إنه ضايقتهم كثيراً ، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء عليه . وهذا النوع من الشعر قصير يتغنى به . ومن أمثلة ذلك :

« قد حل الوباء في منزلنا  
متى يمكن أن تتحرر من هذا الداء »

وقد ظهرت قصيدة عام ١٩٣٧ أيام الاحتلال الإيطالي على طريقة المجازبة يقول الأول :

حل يوم الوليمة  
هلا ساعدتني في إحضار الحبز والتوابل  
فيرد الثاني :

لا مانع عندي سأضع ما في استطاعتي  
فطاهيتنا خضراء تعرف الواجب  
يمكننا أن نحضر الحبة البيضاء  
وأنت تحضر الحبة السوداء

القول الأول موجه من الإمبراطور لكي يساعده الشباب على طرد العدو فيرد عليه شباب أنثيوبيا ( اسم الطاهية خضراء ) بأنه على استعداد لطرد الطليان

(الحبة البيضاء) وما على الإمبراطور إلا أن يحضر ليحكم أثيوبيا ( الحبة السوداء ) .

وقد يوجه النقد إلى الحكام على هذا النحو :

« أسمع صوت الناي والنفير ، أين هذا ؟  
الناي في الباب المسروق ( اسم الباب الخلفي من القصر الإمبراطوري )  
والنفير في القصر ( ومعنى الكلمة أيضاً الزواج ) »

أي إن الترقية لا تأتي إلا عن طريقين : الأول السرقة وإعطاء الرشوة ،  
والآخر الزواج من بنات العظماء .

وللأجباش غرام خاص بالأمشال والحكم ، فهم يقولون « يجب أن يبدأ  
الحديث بحكمة كما يبدأ النشيد بهليلويا » والحكمة عندهم — كما في غيرها من  
اللغات — مختصرة يغلب عليها السجع ، ولذلك يصعب نقلها إلى لغة أخرى إذ  
يضيع رونقها وبلاغتها ولكن معناها يكفي ليدل على ناحية من أنحاء الشعب في  
التفكير ، ويصور — إلى حد ما — بعض خصائص حياته الاجتماعية . وسأسوق  
طرفاً مما جمعته منها :

- من يقاضى كثيراً لا يرح .
- إذا كانت العصا في يدي فالحق في فمي
- إذا دخل المرأة الكبرياء احترق الغداء والعشاء
- من تحبه المرأة فصيره إلى جهنم
- وطن المرأة زوجها
- العصا للجمار والنساء
- أنظر إلى الأم ثم تزوج البنت
- القروي خجول في ما كله جرىء في كلامه
- يكره القروي من يحترمه
- لا يمكن الأجنبي أن يستقر ( أي لا جذور للأجنبي )
- صداقة الأجنبي كالماء ينقصه البهاء
- الأجنبي كالخيط ينفذ من الأبرة ثم لا يلبث أن ينتشر كالبلير

- على الإنسان الابتداء وعلى الله الانتهاء
- التفاهم أهم من العلم ، والتجفيف أهم من الغسل ، والاستعلام أهم من السفر .
- البطين لا يعرف الحب
- من يتكلم أولاً يكره ، الفاكمة التي تنضج أولاً يأكلها المصغور
- الرئيس والقطن إذا بيتا ثقلا
- رب تلميذ أعلم من أستاذه
- لا تمسك ذنب النمر ، فإذا أمسكته فلا تتركه
- اترك قلبك يحترق خيراً من يدك
- أرى البأس فتوطني عيني ( يقال للبخیل )
- الاتحاد يورث القوة ، والحرية تنشر المعرفة
- اسمع واسكت يرض الله عنك
- إذا أقفلت فاك لا يدخله الذباب
- اسمع قبل أن تتكلم ، وامضغ قبل أن تبلع
- نشاجرت بطنان على قمع غيرها
- يمكنك أن تسرق بقرة الأخرس
- إقبل ما تعطاه ، واذكر ما يصنع معك
- القرية المكتنزة بالعزاب تجذب بعد عام
- لا بد للفجر والحقيقة أن يظهر
- أطعمه حتى لا يتكلم ، وادفعه حتى لا يأكل
- الحر : الكأس الأولى تلهب قلبك ، والثانية تبرد قلبك ، والثالثة تحمق قلبك والرابعة تسل سيفك
- مرر غسله وستود لبنه
- دخل ليشرب جلس ، ثم انتهى بأن ورث
- قبل أن تلف العمامة كن طاملاً
- لا ترى الأبرة سمها الصغير ، وبالرغم من هذا فمائدتها كبيرة
- يكون الضيف ذهباً ثم فضة ثم حديداً
- إذا ضربت الأنف بكت العين

- الملك أعظم من رسوله
- مهما تجمعت الذباب فلن يفتح الجرة
- إن لم تقترض تمش في سلام
- الطفل الذي لم يتعود الضرب يبكي إذا لمست
- أشجع الشجعان من يطعن وهو جالس
- السماء قريب للجالس
- اجعل غيرك يعطى خيراً من أن تعطى
- شيطان معروف خير من قديس مجهول
- إذا شفى المريض نسي الله
- إذا أردت أن تفضح الكاذب فاسأل أخاه وأخته
- إذا لم تعط السماء سامت البيوت ، وإذا لم تحضر الضيوف سلمت النساء
- لا يمكث الزبد في بطن الكلب ( يقال لمن لا يحفظ السر )
- لا يمكن أن أبكي إلا من عيني ، ولا يمسح دموعي غيري
- تعرف البقرة عالفها لا صاحبها
- يطيع المرء حكمه أكثر مما يطيع حكومته
- جارك القريب ولا قريبك البعيد
- شاهد لا يخيف وعين لا تؤكّد ( أى لا تخف من شهادة شاهد واحد عليك ، فأرأته عين واحدة لا يمكن إقامة الدليل عليه )
- إذا احترق بيت غيرك خيل إليك أنه قس يحترق
- إذا أكل الخادم الدسم احتاج إلى من يؤدي عمله
- ما يتركه الأسد يأكله الضبع
- الأقارب والدواء تحتاج إليهما في اليوم العسير
- يحب الإنسان أن يرى أولاده تقبل ، وما يقدمه للضيوف يؤكل
- فرق عظيم بين من يضحك من الفرح ومن يضحك الألم
- الأرض التي تتعب تنتج الحشائش
- ليس لموت قانون
- من يعطى العالم درساً كمن يقطع اللحم للأسد

### امان في الحبسة

- إذا أمكنك أن تمسك سيدك من رجله أمكنك أن تضربه
- المعلم الخليق كالكنيسة الجرداء
- العمل الموكول إلى الشيوخ ينجح إن عاجلاً أو آجلاً
- تعرف قدر المرء من قوله
- إذا تكلم السفية سمعه العاقل
- يحكم على البغل بمنظره ، وعلى الخادم بعمله

وقد تغفل الغرام بالحكم والامثال عندهم حتى لقد ينطق القاضي حكمه في قضية بحكمة قصيرة تنطبق على مادة من مواد القانون الجنائي ، فمنها :

- لا يقاضى الميت فإن ما سكب لا يمكن أن يعرف
- ينبع الكلب حيث يأكل ( اللص يجلد حيث سرق )
- كما يمكن السماك أن يصطاد الحية البرية ، كذلك يمكن من يبحث عن مال غيره أن يضيع ماله
- يؤذى الشر فاعله كما يؤذى حد السيف جراه
- لا تلعب مع الطفل فإنه يخرق بالعصا
- كما أن الخشبة لا تحترق وحدها ، كذلك الإنسان لا يحكم وحده ( واحد لا يحترق ، واحد لا يحكم )

هذه هي أهم مناحي الأدب الأمهري الشعبي . بقى نوع آخر وهو القصص . وقد اتجه الأحباش في قصصهم انجماها غير قصص الشاطر حسن والغول إلى آخر ما هو معروف عندنا ؛ فقد أولعوا بقصص الحيوانات وفضلوه على غيره ؛ إذ أن المجال فيه واسع لتوجيه انتقاداتهم وهم في مأمن من السلطان . إلا أن القصص بوجه عام قليل في الأدب الأمهري ولو أنه تطور تطوراً محسوساً في أدب الجالا الشعبي ، وهو يذكرنا إلى حد ما بقصص إيروب وابن المقفع ولافوتيز . وإليك مثلاً من هذا القصص في أدب الجالا : الضبع وابن آوى

« في يوم من الأيام التقى ضبع مع ابن آوى في غابة . فقبض الضبع على ابن آوى ثم قال له : إما أن تحضر لي ماء وإما أن تهني لي مكاناً للراحة . فقال له ابن آوى وهو يرتعد من الخوف : لو كنت أنا رجلاً لما جسرت على معاملتي بهذا الشكل السيء . فسأله الضبع قائلاً : ما هو الرجل ؟ فأجاب : إذا أردت فتعال معي ذاك على معنى الرجل . وبينما هما يسيران مرّاً على رجل مسن ، فسأله الضبع قائلاً : أهذا هو الرجل ؟ فقال ابن آوى لا ، هذا كان رجلاً ، وهو الآن ليس برجل . فاستمرا في السير حتى لقيا صبيكاً ، فسأله الضبع هل هذا هو الرجل ؟ فأجاب ابن آوى لا ، هذا سيصير رجلاً . وبينما هما في طريقهما مرّاً بشاب في يده بندقية ، فسأله الضبع هل هذا هو الرجل ؟ فأجاب ابن آوى قائلاً هذا هو رجل حقاً ، إذا كنت شجاعاً فاقبض عليه . فذهب الضبع لينقض عليه . فأطلق الرجل رصاصة أصابت أذنه ، فصدق الضبع حينئذ ابن آوى وفرك أذنه ثم ولى هارباً »

دكتور مراد لامل

(بيع)